

في الوقت الذي تمتص فيه أوروبا الغربية من نمط أمريكي ... تواجه الأمة العربية غزوا اقتصاديا وثقافيا وسياسيا من أوروبا الغربية وأمريكا مستمرين . وفي الوقت الذي تحاول فيه أوروبا الغربية اللحاق بالولايات المتحدة التي ... ما بعد التصنيع ، تسعى الأمة العربية الى تحقيق ... الصناعي أولا .

■ طالبة الرأسمالية الأمريكية بمزيد من الثروات المسلحة يرتكز على كره متأصل للاشتراكية منذ الثورة البلشفية

دولية النظام الرأسمالي والعلاقات الاستغلالية

فيما تخوض أوروبا الغربية معركتها مع الولايات المتحدة للحاق بها والمحافظة على مركزها كقوة صناعية بحسب حجمها في العالم ، يخوض الوطن العربي معركة بقاء ومصير بعد أن كان في أسفل الهرم الرأسمالي العالمي ، قبل قيام الثورات الاشتراكية فيه . وبالتالي فإن معركة الأمة العربية مع الرأسمالية العالمية تكاد تختلف بمميزاتها عن معركة الرأسماليات العالمية فيما بينها .

ولما كانت الرأسمالية الاحتكارية الأمريكية تتبوأ قمة الهرم الرأسمالي العالمي ، فهي تسعى بجهدها للمحافظة على مركزها ، بأي شكل كان ، حتى ولو اضطرت الى اشعال نار الحروب .

■ تركيب الرأسمالية العالمية

يتميز النظام الرأسمالي العالمي بصفة هرمية ، فهو نظام هرمي عالمي ، له قاعدة ورأس على الدوام . وإن كانت العناصر التي تحتل مختلف درجاته في صراع مستمر وتغير دائم ، نتيجة محاولات دائمة لارتقاء درجاته واحتلال مركز الرفع .

لقد قلل الاقتصاديون البرجوازيون من أهمية دولية الرأسمالية العالمية ، وحتى الماركسيين ، لم يعطوها حق قدرها . أما كارل ماركس فقد نبه الى الأهمية الدولية لديناميكية الرأسمالية في العالم ، إلا أن ... قبل استلام بعض كتاباته ، حتى اللينينيين ... هنا عند المفكرين أن ماركس اعتبر الصفة الدولية للرأسمالية ذات أهمية ثانوية .

وهناك بعض المفكرين الماركسيين الذين ما زالوا يعتبرون أن الرأسمالية العالمية يمكن فهمها على أساس مجموعة من الرأسماليات القومية ، لا من خلال كونها وحدة دولية متماسكة كما كشفها لينين فيما بعد وشرحها . ولا يجب أن يخفى على أحد ، في النهاية ، ما تتصرف الرأسمالية العالمية من تقييد على الرأسماليات القومية التي تكونها ، وعلى مواقعها .

بالاضافة الى هذا ، لا يمكن أن نفهم دور القوى المسلحة في المجتمعات الرأسمالية ما لم نعي شخصية الرأسمالية العالمية ونحللها في صميم تحليلنا . وعندها يتوضح الدور الذي تقوم به الجيوش الرأسمالية على الصعيد العالمي والاقليمي ضمن استراتيجية حفظ الهرم والعلاقات السائدة فيه .

ترتكز الرأسمالية العالمية بتقاسمها الهرمي على مجموعة من العلاقات الاستغلالية والاستخدامية المعقدة ، بحيث تستغل كل دولة مجموعة الدول التي هي دونها في سلم التدرج ، الى أن تصل الى قاعدة الهرم التي تتكون من دول الرأسمالية لا تجد من تستغله . وبالتالي بفضلات الاستغلال الرأسمالي لها . ومن يصل الى رأس الهرم يستطيع أن يستغل كل دول العالم المنتمية اليه ، حتى من هي أقل منه في المركز .

■ الاحتكارات في النظام الرأسمالي الحديث

يظهر أن هناك نقصا في التحليل الماركسي لمجتمع البحبوحة والفن الأمريكي بكل طاقته ، والسبب عائد الى الاكتفاء الماركسي بما كتبه ماركس وانجلز ولينين ، واعادة هذه الكتابات في مختلف المناسبات . كان التطور لم يصب العالم الرأسمالي قبل العالم الاشتراكي .

إن الفرضية التي يجب تعديلها هي أنه لا يمكننا بعد الآن أن نحلل النظام الرأسمالي على أنه نظام تسوده روح المنافسة الحرة . وقد تنبه لينين الى هذه الحقيقة عندما قال أن الامبريالية هي المرحلة الاحتكارية للنظام الرأسمالي في حين أن ماركس اعتبر أن الاحتكار من بقايا النظامين الاقطاعي والمركانتيلي ، ويجب عزله عن البحث للحصول على الصورة الأوضح للنظام الرأسمالي .

لم تعد الوحدة الانتاجية في النظام الرأسمالي معملا صغيرا لا يؤثر على

الانتاج العام ولا حاجة ... في السوق ... سامة ... وتركز ... الرأسمالي ... الاعتبار .

وعندما تكمل الشبة ... واختصاصه من قبل ... التي حال على اساسها ... بحدد كيفية الانتاج ... سوق تسوده العلاقات ... الرأسمالية .

■ التناقض : التكيف والتـ...

ان تناقض الانتاج ، بكثافة ... الفرق بين ما يتبعه ... الانتاج . وهو بالتالي ... والايجار والربح كما ... بالاضافة الى بعض ... التكيف عن طبيعة ... وعلاقات الانتاج ... مؤشرا لتكيفية المجتمع ... بالتالي دليل على ... لتحقيق ... التكمير والاستهلاك والتنـ... ان ظهور التناقض ... الرأسمالي ، وكون ...

الانتاج هو الربح . أمر الطبيعي أن تكون أهمية الانتاج أكثر من كلفته . وبالتالي يظهر التناقض . إلا في حالات الخسارة لا يكون عندها التناقض سلبي القيمة واستحالة استمرار الانتاج تستيتيجية .

لقد اعترفت النظرية الرأسمالية أن يتمثل الاستهلاك والتنمير وتكثيف الاستهلاك بالتنمية التي يتجه النظام الرأسمالي ... احد ... حصرة ... في حل وحدتها ... تراكم رأس المال ... وهي ... لا تغير شكل النظام العام ...

يمثل التنمير الجزء الأهم في صيغة احتواء التناقض لأنه بدوره يخلق فائضا جديدا ... أعظم من الأول والكبر . ويزيد من قدرة النظام الانتاجية ، ويحمي قيمه الرأسمالية وعلاقاتها . أما الاستهلاك فهو يرافق حجم التنمير في مستواه ... المؤسسات الاجتماعية ... مرونة ... نحو التناقض في المستوى أو ترمي في النوعية .

■ قمة الهرم وقاعدته

لا يجب أن يطول تفكيرنا كثيرا عندما نحاول تسمية رأس الهرم الرأسمالي العالمي . والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية بذاتها تعترف بتزعم ما تسميه

، العالم الحر ، وتتصدى للدفاع عنه ، وهي في النتيجة قمة العلاقات الرأسمالية الحالية وتاج رأسها .

ومن الطبيعي أن يكون رأس الهرم ... في الرأسمالية . ومن الطبيعي ... أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية ... العالم الثالث ... من احتكار أو من ... الى النظام الرأسمالي الدولي ... العالمية في الأساس على الحفاظ على مركزها ... في حماية امبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية والحرب ... الاشتراكية ... الى الأوليغاركية الرأسمالية في أمريكا التي ... مركزها ... والسبل وتحت كل الشعارات ... التي يستعملها ، العالم الحر .

فما هو تركيب النظام الأمريكي وما هي التحسينات التي يطرحها ؟ ومن ثم ما هي الحلول التي اعتمدتها الأوليغاركية الأمريكية للحؤول دون تراكم الفائض المؤدي الى ايقاف عجلة النمو الأمريكي وبالتالي انزال أمريكا عن عرش الرأسمالية العالمية ؟

■ بعض خصائص المجتمع الأمريكي

لا نود هنا التعرض الى امكانيات الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا الاشارة الى حجمها وثروتها . ولا نود التكلم عن الميزات الحسنة للعلاقات الاكتساب في الثروات والشركات الأمريكية ، ولا عن مرونة المؤسسة الأمريكية في التكنولوجيا حسب الحاجة ، ووقف التطورات السريعة في علم التكنولوجيا والاختراعات .

وليس هنا تنقصنا من أهمية العوامل هذه ، بل رغبتنا في التركيز على خصائص ثلاث ، تشكل الحركة الـ... للنظام الرأسمالي الأمريكي ، وموجهة له ، وذلك تأثير مباشر وغير مباشر على تحرك الرأسمالية العالمية ورموز القطب ...

١ ـ الشركات الساهمة

تميز التطور التاريخي للنظام الرأسمالي الأمريكي بنشوء وحدات اقتصادية ضخمة عرفت بالشركات الساهمة ، بحيث أصبحت الساهمة طابعا عاما وليس حالة خاصة ولهذه الوحدات مميزات ثلاث :

أ ـ تحل السيطرة على الشركة في يد مجلس الادارة وليس في يد حملة الأسهم . والادارة تشجع الى خدمة الشركة عن طريق تقسيم كل وظيفة ، لقاء مخصصات مالية معينة .

ب ـ تملك الادارة صفة الاستمرار التلقائي دون الرجوع الى حملة الأسهم في تعيين الخلف وشريه ، ولا لزوم لمعرفة حملة الأسهم بهذه الأمور ،

بل حتى التشكل .

ج ـ تملك الشركات الساهمة تكثيرا الى حجمها وقوتها ، استقلالا ماليا وملكيا يجعلها في معزل عن سيطرة الشركات المالية والسياسية .

لقد أصبحت الشركات الساهمة الآلة الأكثر فعالية للحصول على الحد الأقصى من الربح وتراكم رأس المال . عندما كان الرأسمالي الفردي في العصور السابقة ... أن الهدف الرئيسي للشركة الساهمة ... بشكل من الهدف الرئيسي للرأسمالي الفردي ... أي أن الشركة الساهمة ... رغم زوال ... حملة الأسهم أو ... أما المؤسسة الغربية ... أو التيار ... مؤسسيها أو ... بالاضافة الى هذا ، الشركة الساهمة ... بطول الرأسمالية الغربية ... وتقاسمها .

رافق هذا التطور في النظام الرأسمالي ... في روح المضاربة والمنافسة . والزيادة في التضحية المطلوبة ، مما أدى الى تطور الاحتكارية الرأسمالية الى وحدات الانتاج الجبارة أو التي تعمل ... الى جنب مع بعض الوحدات ... التي رغم ... وتحمل دورا في وحدات أكبر .

وهذه الشركات الكبيرة تعمل لمصالحها الخاصة ، لا لخدمة الاقتصاد بشكل عام برمتها مع بعض السوق والمستهلك . وهي

■ الأوليغاركية الرأسمالية في أمريكا تحارب للحفاظ على مركزها بكل الوسائل وتحت كل الشعارات ■ وتروع أمريكا في دوامة التحالف العسكري الصناعي يجعل من تمركزها الاقتصادي لعبة مميتة



تلتقي فيما بينها حول السعار وتجييشها ، مما يزيل اخر مسحة في النظام التنافسي الذي يلح عليه ماركس لتحليلاته ، ويكرسه نظاما احتكاريا استغلاليا ، في الداخل وفي الخارج ، له مميزات الديموقراطية في الظاهر، وابشع انواع الاستغلال والاستعباد في الواقع .

وفي النهاية ، يجب الا يخفى علينا ما لهذا البنيان ، في القطاع الصناعي بشكل خاص ، من اهمية على الصعيد العالمي من حيث تدعيم دور الولايات المتحدة الامريكية الاستعماري ، وابقائها على قمة الهرم الرأسمالي العالمي .

٢ ـ حكم الاوليغاركية الرأسمالية

في الاحوال العادية ، يعتبر النظام السياسي للرأسمالية بنوعيها ، التنافسي والاحتكاري ، نظاما ديموقراطيا برجوازيا . فالاصوات هي المنبع الصوري للسلطة ، بينما يشكل المال المنبع الفعلي لها . فيكون النظام ديموقراطيا في الشكل، وبلوتوقراطيا في المحتوى (حكم الاغنياء).

يكون للمال في النظام البلوتوقراطي الدور الاول في تحريك جميع عناصر النظام وتوجيهها . وبما ان القدرة المالية ومنابعها في النظام الاحتكاري الرأسمالي الامريكي الحالي تقع في ايدي الشركات الساحقة الكبرى ، والتي هي مصدر الاموال الضخمة لخدمة اغراض النظام الذي يحميها ، فمن الطبيعي ان تكون هذه الشركات منبع السلطة السياسية ايضا ومصدرها الاساسي .

ترغب الاوليغاركية الحاكمة ان تحافظ على الديموقراطية الصورية في المجتمع . وقد يلجأ في النظام تحالفات عمالية او تكتلات شعبية تشكل تهديدا للمصالح الاوليغاركية الحاكمة . وفي استطاعة حكومة الاغنياء ان تقمع هذه المحاولات في مهدها ، ومهما كانت قوية ، نسبة الى سيطرتها على جميع الاجهزة القمعية في البلاد القوى المسلحة والبوليس والمحاكم، الخ... ولكنها لا تصل بذلك الى درجة يمكن ان يتحول النظام معها الى نوع من الفاشستية المكشوفة مثلما حدث في ايطاليا عام ١٩٢٠ ، والمانيا عام ١٩٣٣ ، واسبانيا عام ١٩٣٦ . وهذا ما لا ترضاه .

فهي في نظام له تاريخ ديموقراطي وتود المحافظة عليه حتى في الظاهر ، وبالتالي تحول بينه وبين تحوله الى نظام بوليسي ارهابي علني . خاصة وان لمثل هذا التحول انعكاسات سيئة على مصالحها . وبالتالي ، فهي تتجه الى شراء اي قائد عمالي او شعبي بالمال والنفاق ، مما يحافظ لها على الدوام ، عدم مساس جوهر مصالحها ومنابع قوتها .

٣ ـ التحالف الاوليغاركي العسكري

استنادا الى طبيعة العالم الرأسمالي الهرمية ، والى صراع الامم التي تكونه لارتقاء درجاته واحتلال مركز افضل تبرز حاجة الدول الرأسمالية الى امتلاك قوات

هل اعتبر ماركس الصفة الدولية للرأسمالية ذات أهمية ثانوية؟

عسكرية مسلحة ، لكي تستعمل في معركة ارتقاء الهرم . وبالتالي التنعم بميزات استغلال عدد اوفر من البلاد التي تأتي في مراحل منخفضة من السلم الهرمي . وتتحدد الحاجة الى المؤسسة العسكرية ، والى نوعية خاصة منها ، بمركز الدولة المعنية في ترتيب الدول الرأسمالية . وطبيعي ان تحتاج الدول في الاعلى الى قدر اكبر من القوى العسكرية مما تحتاجه الدول الاقل شأنا ورتبة .

لقد كانت للولايات المتحدة اهداف توسعية وطموح جامح نحو اقامة امبراطورية امريكية . حتى قبل حصولها على طابعها القومي والاستقلالي . الا ان القادة الامريكيين عهدئذ لم يفكروا بتحدي الامبراطوريات التي كانت مسيطرة ، بل سعوا الى اقامة تحالفات ومعاهدات لصالح الولايات المتحدة ولخدمة مطامعها الغيابية . وقد كانت هذه السياسة واضحة جدا خاصة بين الحربين العالميتين .

ففي الفترة الواقعة بين ١٩١٤ و ١٩٤٥ حين كانت المانيا واليابان على اهبة اطلاق قياداتهما العالمية ، كانت امريكا تسعى بدورها الى ابراز قياداتها الشخصية ولو عن طريق المعاهدات والتحالفات الحالية في المراحل الاولى . وفي هذه الفترة بالذات كانت شخصية القيادة الامريكية تنمو باستمرار على حساب اصدقائها واعدائها على السواء ، لتخرج بعد الحرب العالمية الثانية كامة قائدة دون منازع ، وتتمتع بالمركز ذاته الذي تمتعت فيه بريطانيا بعد عام ١٨١٥ .

ومن هنا حاجة امريكا الى التربع على عرش الزعامة . نشأت حاجتها الى التفوق العسكري بابة طريقة . وقد اختارته امريكا عن طريقين اساسيين : التحالفات العسكرية والدفاعية . والفترة الثانية

ومما اضاف الى اعباء امريكا العسكرية ولكن افرحها في الوقت نفسه ، استقطابها لجزء كبير من الدول التي كانت تدور في فلك الامبراطوريات القديمة بعد تفككها الاخيرة وانحسار مدها الاستعماري . لقد ادى هذا الى خلق امبراطورية امريكية جديدة تقدر مساحتها بحوالي ١٨ مليون ميل مربع ، ويعد سكانها ٦٦٠ مليون نسمة . وطبيعي الان ان تتطلب السيطرة على هذه الامبراطورية حاجة متزايدة الى المؤسسة العسكرية مع كل تطوراتها والتضحيات الضرورية الى تقويتها وجعلها صالحة للقتال ولكل العمليات اللازمة ، حسبما تتطلب مصلحة الاوليغاركية الحاكمة .

■ الظاهرة التاريخية الجديدة .

الا ان الحاجة الى اقوى جيش في العالم لم يقف تفسيرها عند حدود النظرية الرأسمالية . بل تعداها الى ظاهرة تاريخية جديدة ، بدأت مع نشوء المعسكر الاشتراكي المناوىء للرأسمالية العالمية .

ويؤكد رأسماليو الولايات المتحدة انه من الضروري زيادة دور القوات المسلحة في امريكا . لانه عليها ، بالاضافة الى حماية نفسها والحفاظ على مركزها، حماية « العالم الحر » في العالم من المعسكر الاشتراكي . وعلى وجه التحديد الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية .

ان السبب الاساسي لمطالبة الرأسمالية الامريكية بمزيد من القوات المسلحة وتصعيد دورها على الدوام ، يرتكز على كره متأصل في الرأسمالية العالمية للاشتراكية منذ الثورة البولشفية عام ١٩١٧ . ومنذ ذلك التاريخ والهم الارحد